الإعلام و زراعة المصطلح

(الفيسبوك - تويتر – المنتديات - التليفزيون)

يعتبر علم تحليل المضمون أحد أهم وسائل أجهزة المخابرات فى العالم لكشف أو رصد ظاهرة ما، من خلال التحليل الكمي والكيفي للظاهرة محل الدراسة، وهو علم يبحث فى كيفية تحليل رسائل وسائل الإتصال باستخدام المنهج التحليلي بشكل دقيق خلال فترة زمنية محددة للوصول إلى كشف ما إذا كان هناك وحدة عضوية فى الظاهرة محل الدراسة حتى تعطى وصفا إحصائيا دقيقا عن تلك الظاهرة، وقد عرفت دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية تحليل المضمون على أنه أحد المناهج المستخدمة في دراسة مضمون وسائل الاتصال المكتوبة أو المسموعة بوضع خطة منظمة تبدأ باختيار عينة من النص لتحليلها وتصنيفها كمياً وكيفياً. وقد ظهر مع عالم "الإنترنت" مواقع من المفترض أنها للتواصل الإجتماعي وأيضا ما تعارف على تسميته بالمنتديات المعنية بالتثقيف والترفيه والتواصل بين الأعضاء. فكانت تلك المواقع مادة ثرية لتحليل مضمون خطابات مختلفة ورصد طبيعة ظواهر بعينها فى فترات زمنية محددة، وقد أغنت تلك المواقع أجهزة مخابرات العالم، عن إستخدام الأساليب التقليدية فى جمع المعلومات وبفضل هذه المواقع لم يعد هناك حاجة لزرع العملاء التقليديين الجامعين للمعلومات الخاصة بمشاكل وقضايا الناس وهمومهم وأحلامهم وآمالهم ورغباتهم. بل أصبحت فكرة زراعة المصطلح، تعد أهم ركائز العمل

المخابراتي لتمرير مخطط مرسوم بدقة وبعناية. فلم تعد تلك المواقع للتواصل كما جاءنا إصطلاحها، بل تحولت بفعل الصراع السياسي، إلى ما يشبه غابة من الصراعات الإجتماعية والفكرية، وبالتحديد على موقعي فايسبوك يليه فى الترتيب تويتر أما المنتديات فكانت أقل حدة وبها من التحفظ والوعي ما ليس فى الموقعين الشهيرين، نظرا لوجود عدة اشتراطات مسبقة لقبول تسجيل العضو بالمنتدى، واجراء القانون عليه فى حالة المخالفة، فكانت ساحتي الفايسبوك وتويتر وبالتحديد فى دول التوتر السياسي وعلى رأسها مصر، ساحة ثرية لزرع المصطلح بما يتوافق مع الخطط التآمرية. من قبل أشرنا إلى أن أجهزة المخابرات لا تنتج النيات والرغبات، ولكن تعمل من خلالها وتحاول تفعيل الجانب الخادم لرؤيتها، عدم الإنتاج هذا يكون فى الدولة القوية والمتماسكة مؤسسيا، أما الدولة الهشة فإنتاج النيات والرغبات يكون سهلا من خلال استراتيجيات وخطط بعيدة المدى. فلم يخرج على سبيل المثال مصطلح "يسقط يسقط حكم العسكر" فى العام **2011** إلا عندما تهيأت الظروف المناسبة لهذا الإصطلاح الذي لقى قبولا إجرائيا عند الجماهير، بعد أحداث شارع محمد محمود ثم دعمته أحداث العباسية وزادت حدته بعد مذبحة استاد بورسعيد، وقد اتضح فيما يشبه الحقيقة أن الأحداث كانت مخططة بعناية لحمل الناس بميولهم نحو "يسقط يسقط حكم العسكر" فقراءة المشهد على ساحات التواصل الإجتماعي ورصد البيانات وتحليلها كما وكيفا ومعرفة اتجاهات الجماهير فى هذا الاطار، دفع المخطط لإطلاق عملائه لتغذية المصطلح بين الناس

فى الشوارع ودعمه على كافة المواقع والأجهزة الإعلامية، حتى صدق الناس أن العسكر هم الأخطر على الوطن مقابل دعاة الدولة الدينية "الإخوان وأصهارهم". أما عندما خرج مصطلح "يسقط يسقط حسني مبارك" فلم تكن أجهزة المخابرات فى حاجة إلى تغذية ذلك الشعور المتأصل منذ سنوات فى ضمائر المواطنين، فقط إستغلت مرصود المواقع والوسائل الإعلامية الدائرة فى ذلك الفلك، والوسائل الدائرة فى ركب السلطة، كي تؤكد فقط ما هو موجود عند الناس من فهمهم لطبيعة الإعلام الحكومي المنفصل عن الواقع المعاش. نفس المواقع التى استخدمها دعاة الدولة الدينية بهمجية وسعار وسب وقذف المعارضين وتعمد تشويه الشرفاء بغض النظر عن صدق ما يقدمون أو كذبه، كان مقدمة طبيعية عند بعض المسئولين لاستشعار خطورة ذلك التنظيم المسمى بالإخوان المسلمين على أمن الوطن ومستقبله. فتحليل خطابهم الإعلامي خلال تلك الفترة، لا يخرج عن دائرة الرغبة فى الاستحواذ الكامل على مقدرات الوطن، وعودا على ذي بدء، تحركت آلة الإعلام الحكومي التى غردت لمبارك ونظامة، كي تغرد للإخوان ونظامهم، في مشهد عادي ومتوقع من وسيلة سلطوية، وبنفس الطرح المأزوم والمنتهك منذ عقود زمنية، فكان فشل الخطاب الإعلامي لذلك النظام يثير التعجب فى عدم قدرتهم فى ممارسة الفشل بنجاح. فلم يتغير الخطاب المنفصل عن واقع الناس، وتمت الملامسة الفورية بين كذب تلك الرسائل المتلفزة أو المنظمة عبر الفايسبوك وتويتر وغيرهم من المواقع. تغريد خارج السرب فى حين عملت

الفضائيات التجارية بشكل مكثف وغير مسبوق فى كشف أكاذيب الخطاب الإخواني، حتى أنهم فى أحيان كثير، مارسوا نفس الخطاب المنحط وعالجوا الكذب بكذب مضاد، فلامس المشاهدين الواقع لفترات محدودة، ثم ما لبثوا أن دخلوا فى دوامات من التغريب والتشويش وعدم الوعي. نتاج كم غير مسبوق ومحموم من الصراع المعلوماتي المغلوط والمختلط ما بين حقائق وأكاذيب تم إعدادها بعناية. لكن الكذب مهما دام واستمر، فهناك استحالة أن يتحول إلى صدق مقنع مهما كانت حرفية ومهنية من صاغوه، فالإصطلاح الفاسد يكشف زيفه الإجراء المنفذ والمعاش فتحول الأمر من مجرد خطاب إعلامي إلى تحليل ذلك الخطاب واكتشاف ما ترمي إليه تلك الجماعة فى الاستحواذ والسيطرة على مفاصل الدولة. فبدأت الخطط المضادة كي ينجو كل فصيل بنفسه. فإن كانت نظرية المؤامرة من الدولة العميقة على حد وصف الخطاب الإخواني هي التي عرقلت مشروع النهضة، الذي وصفه المواطن العادي وصفا ساخرا تحت مسمى "الفنكوش" نسبة إلى أحد أفلام عادل إمام، هو السبب فى فشلهم العميق فى السيطرة على البلاد والتحرك بها نحو الأمام، فإن تحليل مثل ذلك الخطاب لا يعني سوى ضعفهم أمام القوى الرجعية التى ناهضتهم على حد قناعاتهم، وليس أخيرا بأن مثل هذه الخطابات الاتهامية أو الحقيقية دون وجود أدلة دامغة، دفعت المعارض إلى العمل بهمة عالية، لأنه توقع مصيرة فى ظل نظام اتهم كل أنظمة الدولة بدأ بالقضاء مرورا بالشرطة والإعلام والجيش، حتى الشعب بوصفه جاهلا. لم يسلم من خطابهم ليس

المتعالي، بل المريض علميا والمبتذل حد التعجب فوصل الأمر بالجميع إلى المحاربة. كل فى إتجاهه. كان لوزير الإعلام الإخواني مآس على مستوى خطابه السياسي الذي وصفه المحللون والعامة بأنه خطاب جنسي تحرشي فى واقعتين مختلفتين.

عند هذا الحد لم يعد مقبولا تصرفات ذلك الوزير حتى من بعض العاملين تحت رئاسته، وبدأ الهجوم عليه فى إطار شعور المجتمع بالخطورة، ومثل الإعلاميين فعل القضاة والمعلمون والشرطة... وجميع أجهزة الدولة، فدخل الخطاب المواجهة هو الآخر فى الرد بعنف وربما سفالة فرضتها المرحلة وطبيعة الخطاب المجنون للجماعة المتأسلمة التى حاولت زراعة بعض المصطلحات بشكل مبتذل وغير مدروس تماما. فعمد الخطاب الفضائي الإخواني إلى إطلاق العنان لإجراء الكفر على العلمانيين والمعارضين، دون وعي بطرق الزراعة والتخصيب. فالمجتمع المصري بطبيعته العقائدية يرفض فكرة تكفير أي إنسان ما لم توجد أدلة دامغة على ذلك الكفر. فكانت أرض زراعة ذلك المصطلح التكفيري بوارا أمام الإعلام الإخواني الذي فقد مصداقيته عند الناس. فلو أنهم اختزلوا تكفير العدو الأشد بالنسبة لهم ولو بالإدعاء الكاذب وفى إطار ضيق، لوجدوا من يصدقهم ولأثمر الينع وفلحت الزراعة، فالإطلاق العشوائي للمصطلحات دون تخطيط مسبق وأرض مجهزة، ينقلب بشره على الفلاح الفاشل. وليس هناك دليل على صحة الرصد من ظهور برامج تتهكم على زراع مصلح الكفر، بشكل تهكمي غير مسبوق فى تاريخ الفكر الإسلامي، وأيضا ظهرت صفحات على

مواقع التواصل تنعت نفسها بالكفر تهكما وسخرية، حتى فقد المصطلح المخيف حد الموت بريقه، وأصبح وصمة عار على من يردده. فقد فشل ذلك الإصطلاح كما فشل إصطلاح مشروع النهضة الذي خالف الإجراء تماما وتنافى مع أبسط قواعد الكذب المنظم أو الصدق الإرتجالي. العديد من تلك المحاولات حاول إعلام الجماعة السير على مساره بعشوائية، دون دراسة علمية عن كيفية زراعة المصطلحات. فقد تخيلوا بعد نجاحهم فى تحجيم القضية الفلسطينية وتأطيرها فى ذلك الشريط الحدودي الضيق، المسمى بغزة، على أن لهم القدرة على الزراعة الطبيعية، دون صوب ومخصبات وهندسة وراثية مجهزة فى أروقة النظم المخابراتية، ففشلوا فى طرحهم تماما وتنبه الناس من جديد إلى كون القضية الفلسطينية ليست غزة ولن تكون غزة فى يوم من الأيام. فقضايا زراعة المصطلح ليست بهذه السطحية والعشوائية، ولا سيما بعد انتشار عمليات تحليل المضمون الفضائي وأصبح لها مريدون. فالقضايا متعددة فى عالمنا العربي والأرض خصبة للزراعة إن لم ننتبه.

قضايا فى زراعة المصطلح

طبقا لمفاهيم النقد والتحليل وضرورات اعمال العقل حال تلقي كافة أنواع الرسائل الإعلامية وبعد قراءة تلك القضايا المطروحة بعناية، لك الحق فى اعتبار ما طرحته أنا كحقائق تمثلني أن تعتبرها كقارئ عاقل إيجابي، محض قصص خيالية. لست بصدد مناقشة أمور شخصية بل مضامين قصص حدثت بالفعل أو اخترعها خيالي الإبداعي لتسهيل فهم قضايا زراعة المصطلح ونبدأ من حيث جرافتي النائحات: تعد جدارية النائحات من أشهر جداريات جرافتي الثورة المصرية، والتى رسمها الفنان علاء عوض، وقد تبعها بسلسلة أخرى من الحروب المصرية القديمة ضمن مشروع فكري وفنى وثقافي كنا نعمل عليه سويا بمنطقة القرنة القديمة غرب الأقصر وبالتحديد داخل أسوار معبد الرامسيوم. حيث سكننا الدائم لعلاء والزائر بالنسبة لي. كنا نخطط لكل لوحة بعد مناقشات متعددة ودراسة متأنية وبناء على قناعات مشتركة توصلنا لها سويا من عشقنا لأسرى رمسيس الثاني فى الجداريات المنتشرة فى الرامسيوم وهابو وغيرهما ونجاحات تحتمس الثالث الحربية، ومشهد الجنود فى متحف النوبة، بأنه لا يوجد جيش فى مصر. بل المصريون جميعهم ذلك الجيش الذي خاض أعظم معارك فى تاريخه، كي يؤسس لأعظم معاهدة سلام فى تاريخ العالم "معاهدة الحيثيين" 1274 ق م. وقررنا ألا نخوض معركة يسقط يسقط حكم العسكر، ولو قالها المصريون جميعا، فلن نغرد إلا فى سرب تحتمس الثالث أهم قائد عسكري فى تاريخ مصر والعالم. فكانت جدارية المحكمة

التى رسمها علاء عوض لا تقل أهمية عن النائحات. فوجئت أثناء الرسم وكنت له مرافقا، بوجود العديد من الجميلات الأجنبيات يحمن حول مكان العمل. يلتقطون صورا بعناية ويدخلون مع صديقي فى حوارات طويلة. حتى التقت بنا فتاة شابه فى مقهى الحرية وهي بولندية الجنسية، تدعى آجنس. تعمل على حد زعمها بالجامعة الألمانية كمدرس للفنون. كان برفقتنا النحات مد حمد سوداني. ودار النقاش حول الفن أولا ثم دخل فى مسارات الثورة، وكانت الملاحظة منا جميعا لي عنق الحديث ناحية الجيش فى جداريات محمد محمود وتكريس فكرة يسقط يسقط. للأسف الشديد ومثل أي فلاح منفعل صرخت فيها، بأننا نحن الجيش ومن يفكر بالتآمر علينا سنقتله فورا وللأسف أيدني الصديقان. كان حري بنا أن نتعامل بمكر ممثال ونترك مجالا للنقاش حتى نكمل حلقة زراعة المصطلح، لكن الأمر على مايبدو قد انتهى، وعليه انتهى النقاش مع حالة من التوتر الذي صاحب البولندية الجميلة. تكرر اللقاء مرات أخري مصادفة على مقهى الندوة الثقافية، وكان وقت حضوري تعمد إلى الصمت التام وفى إطار اللقاءات والمناقشات المتعددة بيني وبين علاء. أخبرني بأنها تريد منه التحريض على الجيش بشكل غير مباشر خلال اللقاءات وذلك بعدة جداريات جديدة. فاتخذت نفس الموقف السابق معها، ومن شدة انفعالها فوجئت بأنها تجيد اللغة العربية، رغم تأكيدها لي عدة مرات أنها لا تتكلم أو تفهم العربية. وعمل علاء بنصيحتها بشكل مضاد وأصبح مشروع الجيش المصري ودعمه أساس كل هذه الأعمال وحتى ظهور

مونيكا اليهودية السويدية. كانت واحدة من الحالات التى تراود الفتى عن فنه، لكن عناية الله أنهن لا يعرفن منظر المشروع ولا باللقاءات وورش العمل المستمرة بيننا، فكان يخبرني بكل شاردة وواردة مما يدور، إلى أن التقيتها بمقهى فى نهاية شارع الفلكي. كانت هى الأخرى تسعى سعى آجنس، لكن مونيكا كانت أكثر عمقا وحرصا واجادة لعملها من آجنس وكأنها على دراية كاملة بعلوم النفس وتحليل المضمون، وكأنها درست شخصيتي فى جلسة واحدة وقد راودني ذلك الإحساس حينما سألتها عن طبيعة عملها، فأجابت بعدما تعثرت أنا فى فهم انجليزيتها الجيدة وعمل علاء مترجما للمستغلق عندي: أنا باحثة فى العلوم الإجتماعية فعاودت السؤال ولصالح من تعملين؟ أجابت: جامعة بالسويد. قلت وبما يفعلون بهذه الأبحاث؟ بعدما ارتشفت بعض الشاي وأحنت رأسها إلى جذعها قالت بهدوء: بالتأكيد يعملون بها كما فى رأسك.. تخابر ومؤامرة. فضحكت وقلت لها أنت جاسوسة إذا. فضحكت وقالت: نعم. فى تصريح لطيف ناعم لا يخل من العبث والجنون والذكاء. حكاية لا تصلح إلا للجنون لكن ماذا نفعل؟ بدأت فى تحري أخبارها. حتى علمت أنها سافرت إلى النوبة. فى اليوم التالي كان المصطلح قد زرع والغضب والنيران تشتعل فى أسوان. كان لابد من اتخاذ موقف لم نتخذه ولك الحق أن تسأل لماذا لم تبلغ المخابرات العامة مثلا؟

سؤال يأخذنا سويا إلى الواقعة الأولى
المنتديات وصيد الفرائس

واقعة في جزئين.. الأول منها عندما أخبرت المفكر المصري الدكتور "ر. س" هاتفيا بمعلومات اعتبرتها مؤكدة تفيد بضرب المتظاهرين يوم 2 فبراير 2011، وقد أخبرني المصدر وهي فتاة تعرفت إليها من خلال منتدى للبحوث والدراسات عبر الشبكة العنكبوتية. تتكلم العربية مختلطة بالإنجليزية والفرنسية وأكدت على التاريخ والواقعة دون ذكر تفاصيل وبأن جمال مبارك هو من يخطط للضرب. نفس الفتاة التى أعطتنى المعلومة الصحيحة، مزجت أحيانا ما بين الصحيح والمغلوط وبشكل كأنه متعمد. كانت تتدعى صداقتها لأسرة مبارك وأنها تعيش معهم وقت الثورة بالقصر. اتصلت بي فجر يوم رحيل مبارك وقالت بأن الجيش سيفجر الميدان ولابد أن تكون حريصا وتبتعد تماما وأرادت أن ترسل مالا وسلاحا مع حارسها الشخصي كما أخبرتني. لكننى لم أفعل ولم أروج للمعلومة خوفا من إحداث ارتباك بيننا على حد تصوري للأمور، لكنني تأكدت بعد ذلك بفترة طويلة وتحليلا لما كانت تخبرني به، أنها فى الواقعة الأولى كانت تريد أن نروج لفكرة أن الوريث الذي لم يرث "جمال" ونظامه هم الفاعلون للمعركة، فالتساؤل المطروح. إذا كانت "ج ش" كما تدعي، صديقة لتلك الأسرة وتشاركها بعض الأعمال فلماذا تحاول الإخبار بخططها وما مصلحتها؟ أما الإخبار الثاني على حد فهمي للأحداث، أنها رغبت فى أن تحدث خوفا

بالميدان، فنتحول جميعا إلى قصر الاتحادية، كي يكتمل المشروع. ربما يتساءل القارئ كما تساءل من قبل لماذا لم تقدم بلاغا ضد آجنس ومونيكا وهذه السيدة التى لم تخبرنا باسمها؟

الإجابة: لأنني تقدمت ببلاغ للمخابرات العامة المصرية – قطاع وسط الدلتا – بما حدث مع هذه الفتاة التى لم ألتقيها يوما ومازال اسمها وشخصيتها غير مؤكدين لدي، وفى هذا البلاغ عدد من الرسائل التليفونية والإليكترونية، ولم أتلقى ردا حتى هذه اللحظة ولن أتلقى على ما يبدو. ففكرة زراعة المصطلح والترويج للموقعة قبل حدوثها ومحاولة الصاق تهم بالجيش كانت جدية ومعدة مسبقا. ولأن نظام مبارك الهش كان قد شاخ بفعل الفساد، فكنا على استعداد لتقبل المسألة حتى وإن كانت غير مؤكدة، من باب النيات المؤكدة، وقدرة أجهزة مخابرات الدول على رصدها وتحليلها والدفع بها إلى المسار الذي يرغبون فيه. لست جهة للتحقيق ولا سمسارا لتبرئة الذمم. فقط نؤرخ لوقائع حدثت بالشهود والمستندات. وقد ذكرت بالبلاغ ما قام به الشيخ القطري المدعو "ع.ج.أ" صاحب المعهد الإفتراضي ودوره فى الأحداث ومحاولة تجنيدي ومساندتي للترشح بمجلس الشعب المصري ومحاولتة التعرف على بعض الناشطين من خلالي، وكل ذلك مرفق بالبلاغ الذي تقدمت به للمخابرات العامة بالأسماء والتواريخ والتفاصيل. فالسعي نحو زراعة المصطلحات الخبيثة، به خطورة على السلام الإجتماعي والأمن القومي، والإنجراف بسذاجة تشبه سذاجتى كارثة. ولا سبيل للخلاص من المغلوط إلا بتصحيح المفاهيم والوقوف عليها

بعقلانية، لا وجدان فيها، فلابد من التوقف العقلاني على جميع المطروح ومعرفة الصادق من الكاذب وكيفية المواجهة، سواء بالرد المباشر أو التوقف وإنهاء الرسائل.

إنهاء الرسائل

الكذب المنظم أفعل من الصدق المرتبك، وقالها الأجداد فى أمثالهم "كذب مساوي ولا صدق منعكش" ليس للتنبيه على فعالية الكذب، بل للتأكيد على منطقية الصدق. فرسائل صادقة بلا أطروحات منطقية، تؤخذ مأخذ الكذب. والرسائل الإتهامية دون أدلة دامغة، هى أيضا كذب صريح ولو كانت صحيحة مئة فى المئة. فالمتلقي لن يفتش فى نيات المرسل، بل يتعاطى الرسالة تلقائيا، ويذهب ذهنه لحظيا إلى البحث عن تأييد مقنع للرسائل المطروحة، فما بالك عندما يصل الكذب للغباء. كذب بلا تنظيم وبلا منهجية فى الكذب. إن أفضل ما وصلنا فى التاريخ عن ضرورة إنهاء الرسائل المبتذلة، سواء كانت صادقة أو كاذبة أو عشوائية عندما كان الإمام محمد بن إدريس الشافعي فى إحدى حلقات العلم، وكانت ساقه تؤلمه، وإلى جواره رجل ذا مهابة. عمد الشافعي إلى تحمل ألم الساق، كي لا يضعها تأدبا ناحية وجه الرجل المهاب. وعندما سأله الرجل سؤالا مجنونا أحمقا. وذكر البعض صيغة السؤال وهو إن كان الصيام من الفجر إلى المغيب، فإذا لم تغب الشمس ماذا نفعل؟ فقال الشافعي مقولته الشهيرة قد آن للشافعي أن يمد قدمه. ومن أجمل ما جاء فى رسائل الجهلة، ما ذكره أبو نعيم فى الحلية: رفع رجلٌ من العامة

ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أنّه يتزندق، فسأله الوالي عن قوله الذي نسبه به إلى الزندقة، فقال: هو مرجى قدريّ ناصبيّ رافضى، من الخوارج، يبغض معاوية بن الخطّاب الذي قتل عليّ بن العاص. فقال له ذلك الوالي :ما أدرى على أي شيء أحسدك؟ أعلى علمك بالمقالات، أم على بصرك بالأنساب. بالطبع يعد الرد على مثل هذه الرسائل جنون جديد. ليس أمام أي متلق عاقل طبيعي إلا تجاهل تلك الرسائل تماما، وعلى كافة مؤسسات الدولة توقيف مثل هؤلاء الشخوص بلا رد أو مناقشة لبديهات قاموا بقولبتها، إن المناقشة مع شخص يدعى إحياء الموتي أو الصعود إلى القمر على ظهر غراب، كارثة. بل توقيع الكشف الطبي عليه للتأكد من سلامة قواه العقلية. فقد ذكر أحد الكتاب فى مقال: أنه كان مع صديق مصري حديث الإقامة فى ألمانيا، وكانا سويا بالسيارة، فأراد صديقه أن يغير مسار الطريق، فوجد فتحة غير قانونية نتيجة بعض إصلاحات الطريق، فتجاوز ومر. بعد دقائق أوقفتهما الشرطة، وفى المحكمة سأل القاضي السائق: لماذا فعلت هذا؟ فرد المصري: "عادي" فأعاد القاضي السؤال مرتين وأتت الإجابة واحدة، فحكم القاضي بإيداع السائق مشفى للأمراض النفسية والعصبية للتأكد من سلامة قواه العقلية قبل اعمال القانون عليه. فعندما تأتي الرسائل منافية للعقل والضمير والطبيعة الكونية، فليس هناك شك فى أن المرسل إما مجنون أو مجرم يخطط لجريمة. وإذا ما سرنا معا إلى طريق مدينة أكتوبر وتوقفنا أمام مدينة الإنتاج الإعلامي، سنرصد ما لا أذن سمعت ولا عين رأت من الجنون غير المرصود

تاريخيا فى أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، أو المستطرف للإبشيهي أو العقد الفريد لابن عبد ربه.

تأكيدات القنوات الدينية والجزيرة لرسائل مثل:

1/ جبريل هبط فى إشارة رابعة العدوية لتأييد محمد مرسي، وقد إنجرف خلف هذا الخطاب المختل عقليا، القنوات العلمانية بالتحليل والتهليل والسخرية والسباب كمادة ثرية تجذب الجمهور وترفع نتاج الإعلانات. لكن القنوات التجارية أحسنت إذا لم تقل إن ميكائيل لم يكن فى ميدان التحرير، لأن من أرسل رسائل جبريل لن يتورع من إنزال كافة الملائكة إلى شوارع القاهرة تأييدا لجماعة الإخوان، على الرغم من إزدحام المرور فى تلك المدينة المتوترة.

2/ الرسول يأمر محمد مرسي بأن يؤمه فى الصلاة. حلم رجل صالح. رسائل واردة من أحلام ومشاهدات ظنية، كيف يمكن التعامل معها؟!! فى الحقيقة ربما يكون لديهم مصداقيه، لأن فى نفس الليلة التى طرح المخرفون تلك الرسالة، جاءني رجل يريد أن يطرح رسالة على إحدي الفضائيات: مضمونها، أن الرسول بعدما صلى خلف مرسي، أتاه كي يسلمه مفاتيح الكون وأمره بخلافة المسلمين، لكن معركة نشبت بين هذا الرجل وأحد رواد المقهى التى كنا نجلس عليها معنفا له وقائلا: إن الله ذاته جاءني فى المنام وقال ما أنت قلته، ولأن نافذة حجرتي كانت مفتوحة فقد سرقت الحلم مني... رسائل من أوهام وأحلام وتخاريف، تريد جماعة الإخوان أن تحكم بها مصر. فهل آن

للشافعي أن يمد قدميه؟ وهل آن للقاضي الألماني أن يتأكد من جنون السائق؟ حتى التخريف والجنون والنفاق والقبح له أصول، إن لم تتبع فقد العفن رائحته المميزة.

3/ سنفجر مصر.

4/ لن تتوقف عمليات القتل فى سيناء إلا بعودة الرئيس مرسي.

الشافعي والقاضي الألماني والخليفة العربي، جميعهم أجاب على رسائل العته والجنون بالتجاهل. لكن كيف تواجه مثل تلك الرسائل الدموية والمختلة دينيا وإنسانيا وعقليا؟

لكل رسالة فى الوجود مرسل ومستقبل ووسيلة إتصال تمر من خلالها الرسالة. لو تعلق الأمر بمثل هذه الرسائل فى دول الديموقراطيات الغربية فلن يترددوا فى إغلاق مثل تلك المحطات على الفور سواء بطرق قانونية شرعية، أو مؤامرات تحتية لتأخذ الصبغة القانونية، أو المشاركة مع الإرهاب والشيطان وتفجيرها، إعمالا لمبدأ النزعات الشريرة المتأصلة عند البشر وفسر بها شيللر كيفية تعليب الوعي فى دولة مثل أمريكا، أما المرسل ولنا فى "وول ستريت" أسوة غير حسنة، على الرغم من أن الرسائل كانت سلمية إلا أن العنف كان صاحب السبق فما بالك بمن يهدد مثلا بحرق أمريكا، على الفور سيعمل عليه قانون الديمقراطية الأمريكي ولن يحاولوا القبض على مثل هذا المرسل خوفا من إنتقاد المجتمع وخوفا من الناخبيين الذين ينتظرون عدم فض مثل تلك السخافات الإجرامية، بل ينتظرون تصفية مثل هؤلاء الشخوص بالقنص المباشر دون تردد كي لا تستمر مثل تلك الدعوات الموتورة وتتغلغل

داخل المجتمع فيتحول إلى غابة. إن مصطلحات عشوائية تخرج فى مثل هذه الحالات، مثلما حدث فى مصر بعدما تعامل الأمن مع تلك الرسائل بوصف الدم المصري كله حرام، من خلال إجراء فعل المساواة المغلوط، لكن بتمرير فعل العدالة المكتمل، لا يتساوى دم إرهابي بدم مواطن مسالم. دعوات مناهضة الإرهاب بالفكر الإستباقي للفعل الأمنى فى حالات آنية لظهور العنف، دعوات موتورة غير مدروسة، فعندما تصل الرسائل إلى هذا الطريق المستغلق والتهديد بإما هذا أو ذاك، فقد آن للشافعي وإنتهت الرسائل وأخذ العداء والسلاح طريقة الطبيعي للتعامل مع هؤلاء الناس، وكانت معركة النهروان بين الإمام على ومن خرجوا عليه، مشابهة تماما لما حدث فى إشارة رابعة المصرية وتعامل مع الحالة بالفعل الأمنى. ذلك الفعل الذي يليه جمع فكر المجتمع وتسييره فى مسار الإقتناع بخطورة هؤلاء البشر على الدين والدنيا معا. رسائل إما أن تفعل أو أقتلك، هى نهايات غير سعيدة للمرسل والوسيلة والمستقبل المغيب والمنجرف خلف هذا العبث. فى مصر رسائل قاتلة وردود فعل مجنونة من القنوات التجارية العلمانية التى لا تقل خطورة عن القنوات الدنية. فليس كل الدم حرام كما يدعون فى رسائلهم. لكن المؤكد أن كل العنف مخيف. العنف الجالب للدم والذي يذهب ضحيته بعض الأبرياء، كارثة على المجتمع كله وليس على من وقع عليه العنف وحده، لأنه ببساطة شديدة يحيل الممارسات العنيفة إلى ممارسات طبيعية تسير فى المجتمع حتى تصبح عادة مكتسبة وغير منتقدة، لكن يظل قول معاوية نصب

الأعين "قتله من أرسله" فى إشارة إلى أن المتسبب فى الدم هو من بدأ رسائل العنف وهو من يحمل فى رقبته دماء الأبرياء واستشراء العنف فى المجتمع، حتى المحطات المفترض أنها علمانية لم تسلم من رسائل الخلل العقلي والدعوات العنيفة غير المباشرة. مثل:

1/ أمك كانت صاحبتي، فى إشارة لهتك عرض الناس على الهواء مباشرة، وفى المقابل تخرج دعوات بإلغاء عقوبات الحبس فى قضايا النشر. فإذا ما تعرضت أنت شخصيا لمثل هذا الإنتهاك لن يشفي غليلك سوى قتل مثل هذا الموتور، فالحبس أتى من باب الرحمة والحفاظ على السلام الإجتماعي. التجربة الغربية عندي رائعة فى حال الزيارة للفسحة واللعب والتهتك لكن لأن نلهث خلف مصطلحاتهم ومحاول تطبيقها نصا وحرفا فى بلادنا مجتزئين من تجربتهم لهو العبث بعينه.

2/ أنت كلب وأنت بن كلب.. موقف مكرر ومعاد نصا وحرفا ولم تنجُ فضائية تجارية فى برامجها الاستعراضية "توك شو" من السب والقذف والتجريح، متخيلين أن كل المصريين أمثالهم. يتقبلون ذلك السباب، ويمكنهم تجاوز تلك البذاءات، لكن هناك مهذبون حقا، وأطفال ونساء تجرحهم بوقاحتك داخل غرف نومهم. دعوة لتحويل المجتمع إلى وجارات كلبية مباشرة، والحبس فى قضايا النشر حرام، فإن كان هذا منطقك، فزنا نكاح الجهاد حلال، والقردة الزانية حديث مؤكد ونكاح الموتى شرعي. متعلمن مغيب نفعي فى مواجهة متأسلم مهزوم نفسيا والمواطنين بين النجوم فى وطن الشتات الفكري. يظهر ذلك

الشتات واضحا عندما يتم الترويج لمصطلح ما على مواقع التواصل الإجتماعي، حيث يكون الطرح منظم ومدروس من قبل تنظيمات معينة وبقدرات مالية فائقة وقادرة فى الإنتشار على تلك المواقع والمنتديات للترويج للرسالة بإيعاز إيهامي بوجود رأي عام تجاه المطروح. ثم يلي الطرح لجان متخصصة للرد على التعليقات الرافضة والعقلانية والممنهجة، فتتخذ لجان الطرح عدة أساليب لتوقيف مثل هؤلاء المعارضين. منها:

1/ الرد فى البداية بأسلوب يحاولون أن يبدوا عقلانيا.

2/ يتخلل الرد العقلاني رسائل سباب غير مفضوح وسخرية مقصودة.

3/ رفع الدرجة القصوى من السباب إلى حد غير مقبول.

4/ الرد على الطرح الممنهج بالخروج من الموضوع الأصلي إلى زوايا جانبية وبعيدة عن الرسالة الأصيلة.

5/ تأليف وتلفيق أخبار مكذوبة والصاقها بالموضوع الأصلي لتأكيده.

6/ إذا ما ضاقت بهم السبل جميعها كان النص الديني التلفيقي هو الحل الأمثل من وجهة نظرهم. فيعمدون إلى طرح معتوه، مثل مشروع النهضة الذي دخل به الإخوان سباق الرئاسة مذكور فى القرآن الكريم، وبأن خيرت الشاطر هو يوسف هذا الزمان وفلان رضي الله عنه وعلان ولي لله صالح ولحوم العلماء مسمومة، وما شابه من تلفيق خرائي، مستغلين الدين بوقاحة غير مسبوقة فى تاريخ الإسلام.

فالسكوت حيال أي مصطلح كارثة وقنبلة شبه موقوتة ربما تنفجر فى أي لحظة فى وجه الوطن لذا رأينا الكثير من الشباب المستخدم لتلك المواقع كشف دون دراسة وبفطرة سليمة هذه الممارسات، فراح يواجه ذلك الطرح بذكاء كبير، ولم يثنه ما تعرض له من تشويه وسب وقذف وقتل مع بعض الحالات الموثقة لمن نعرفهم "بأدمن الصفحات" لكن مثل هذه الأطروحات تحتاج مجهود أجيال من الباحثين، كي يؤطروا لعلم التلقي والتنبيه على خطورة الإستسهال وتعليق كافة الميكانيزمات الحسية حال استقبال الرسائل الإعلامية وزراعة المصطلحات فى أراض صالحة للزراعة أو أراض بوار.